كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الثاني

مقياس: السينما الناطقة

المحاضرة رقم 03 بعنوان:
" بدايات حقب السينما الناطقة في أوروبا "

رغم المحاولات العديدة لإدخال الصوت في أمريكا مع أواخر العشرينيات، دأب مجموعة من المخترعين والمهندسين إلى إلحاق الصوت بنظامه الحديث داخل أوروبا، والتي تمثلت بوادرها إلا في أواخر سنة 1929 مع وصول الأفلام الأمريكية، إلا أن هذا الأمر أثار وابل من الردود من طرف الشركات الأوروبية، مما وجب الإسراع إلى تسجيل براءة الإختراع بفضل تجارب مبكرة جدا (تسجيل وإنتاج صور وأصوات في آن واحد من طرف إديسون وجومون).

ولو لم تعتمد الشركات الكهربائية (ويسترن إليكتريك الأمريكية وشركة وايج الألمانية) إلى شراء براءات الإختراع، ولو لم يحصر المنتجون أنفسهم في السينما الصامتة التي كانت تتطلب رؤوس أموال كثيرة التكاليف، فليس هناك ما يمنع من التفكير في أن الفيلم كان يسعه أن يتكلم قبل ذلك بعشر سنين أو خمس عشر سنة، وفي هذا يقول المنظر الفرنسي أندريه بازان: لقد كان الفيلم الصامت يكون عالما محروما من الصوت، وهذا هو منشأ الرموز المتعددة المخصصة لتعويض هذا العجز.

كل هذا أدى إلى تأسيس شركتين "شركة تون بليد ميندیكات' التي تملك حق استخدام الإبتكار، والثانية 'كلاج فيلم' مما دفعهما بقيام تكوين إتحاد مالي بغية محاربة الغزو الأمريكي وهذا بتاريخ مارس 1929.

كانت الرغبة في وجود الصوت في الأفلام واضحة آنذاك ومستمرة، كان جليا منذ البداية أن الأصوات وخاصة الموسيقى تكثف تأثير الصورة، ويعتبر فيلم 'آلام جان دارك' للمخرج 'كارل تيودور درايير' سنة 1928 وهو واحد من أواخر الأفلام الأوروبية الصامتة العظيمة، بمثابة استغاثة تطلب إضافة الصوت والكلام إلى فن الصورة المتحركة.

ولئن كان الصوت يمثل نطاقا إيجابيا في العالم الأوروبي، فإن هذا الأمر صادفه صراع اللغة الذي ألقى بظلاله على السيطرة الصناعية في السينما العالمية، كون الفيلم الصامت كان قابلا للعرض في كل أنحاء العالم، فإن الفيلم الناطق أصبح سجينا للغة التي ينطق بها، خاصة أنه لم تكن قد ظهرت آنذاك تقنيات مثل 'الترجمة على الشريط' ومن ثم تطوير تقنية الدوبلاج، لتكون اللغة الإنجليزية سائدة في معظم الأفلام الناطقة بهدف إستثارة الأحاسيس القومية في مختلف نطاق العالم، الأمر الذي أثار حفيظة الصناعات الأوروبية الأخرى على غرار إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وغيرها من البلدان في سن إجراءات وقائية مماثلة في عرض الأفلام الناطقة بلغة الإنتماء (لغة البلد).

هذا ما أثر سلبا في الصناعة والهيمنة الأمريكية في عهد السينما الصامتة، فبدأت في التحلل ولتتقسم إلى عدة أسواق متباينة بقدر تباين اللغات ذاتها، وهو الأمر الذي ساعد هوليوود فيما بعد بالإعتماد على صناعة الأفلام الموسيقية باعتبار أن الفيلم الموسيقي كان نمطا سينمائيا جديدا في حقل الأنواع السينمائية، ومن ثم اضطرار هوليوود إلى التخلي عن كيانها ومركزيتها لأخذ الحلول الوحيدة لمصاحبة مشكلة اللغة، والنظر في الفيلم الناطق الذي يحتوي على نطاق الحوار الذي شكل خطرا فيما بعد على الصناعة العالمية.

وبالتالي، فقد أحست هوليوود بأن أسواقها مهددة بالضياع، فالجمهور في كل البلاد يريد سماع لغة بلده ينطقها الممثلون، ولكي تحتفظ بسيطرتها العالمية راحت تنتج العديد من النسخ من كل فيلم تنطق بلغات أجنبية مختلفة، فتعاقد مع ممثلين وفنيين في أوروبا وجلبتهم إلى هوليوود لعمل أفلام من نفس السيناريو وفي نفس الديكور للتصدير للخارج، وذهب شركة بارامونت إلى أبعد من ذلك، ففتحت

استوديوهات في فرنسا متخصصة في إنتاج أفلام ناطقة بالفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية، وقد أنتج أحد الأفلام في 13 لغة مختلفة.

ولم تنجح هذه الطريقة تجاريا ولا فنيا، وإزاء ارتفاع تكاليف إنتاج النسخ الأجنبية سواء كان في هوليوود أو في أوروبا، كان لا بد من إيجاد حل آخر، وكان هذا الحال هو الدوبلاج أي تسجيل الحوار المترجم، يلقيه ممثل آخر غير الممثل الأصلي للفيلم، وقد اعانت السينما الناطقة البلاد الصغيرة على تأسيس صناعة للسينما فيها أو على تقويتها في البلاد الأخرى، فأسست هوليوود في أوروبا شركات منتجة واشترت القاعات أو أصحابها، وعمدت أخيرا إلى طريقة أقل نفقة من كل الطرق السابقة هي طريقة طبع الترجمة على الشريط نفسه.

وفي بواكر سنة 1930، قامت شركات سينمائية أمريكية في حقل الاستثمار في صناعة السينما الأوروبية كضبط شراكة بين بارامونت في فرنسا ببناء أستوديو في مدينة 'جوانفيل'، بهدف إنتاج أفلام ناطقة بعدة اللغات، وشركة وارنر وإنتاجها المشترك في ألمانيا، ومن ثم شركة 'توبيس' في تعاملها مع مختلف الشركات الأوروبية.

المكتبة البيبليوغرافية:

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1980/1895، ترجمة: إبراهيم قنديل.

*مارسيل مارتن: اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، ترجمة فريد مزاوي.

*حكمت البيضاني: جماليات وتقنيات الصوت.

*باري كيث جرانت، موسوعة السينما، تر :أحمد يوسف، ج1، ج2 ، ج3.